خطبة الأسبوع

التَّمْحِيص

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ ﷻ ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

عِبَادَ اللهِ: لا يَتِمُّ الإِيْمَانُ، إِلَّا بَعْدَ **التَّمْحِيْصِ**(١) والِامْتِحَانِ! قال ﷻ: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ**

---

(١) **التَّمْحِيْصُ**: هُوَ التَّخْلِيصُ مِنَ الشَّيءِ المَعِيب، **وقيل**: هُوَ الِابْتِلَاءُ وَالِاخْتِبَارُ. انظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/ ٥٦٠).

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّمْحِيص: حُصُوْلُ التَّقْوَى: فَالتَّقْوَى هِبَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، لا تُوْضَعُ إِلَّا فِي القُلُوبِ النَّقِيَّةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ امْتِحَانِهَا وَتَمْحِيصِهَا! ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّمْحِيص: مَحْوُ الذُّنُوبِ[1]: فَلا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤْمِنِ؛ حَتَّى يَبْقَى ذَهَبًا خَالِصًا![2] قال ﷺ: (فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ؛ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ!)[3].

---

(١) قال السفَّاريني: (إِنَّ اللهَ إِذَا ابْتَلَى عَبْدَهُ؛ لَمْ يُرِدْ هَلَاكَهُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ: إِمَّا تَمْحِيصَ ذُنُوبِهِ، وَإِمَّا لِيَنَالَ مَنْزِلَةً لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ؛ فَمَنْعُهُ عَطَاءٌ، وَابْتِلَاؤُهُ رِضًا، وَالْمِحْنَةُ مِنْهُ مِنْحَةٌ!). غذاء الألباب (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢٧٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وقال: (حَسَنٌ صحيحٌ).

وَيَسْتَمِرُّ التَّمْحِيْصُ بِالْمُؤْمِنِ، حَتَّى آخِرَ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ!

قال ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الجَبِينِ**)[1]. قال العُلَمَاءُ: (يَشْتَدُّ المَوْتُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، بِحَيْثُ يَعْرَقُ جَبِينُهُ مِنَ الشِّدَّةِ؛ لِتَمْحِيصِ ذُنُوبِهِ، أَوْ لِتَزِيدَ دَرَجَتُهُ)[2].

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّمْحِيصِ: تَطْهِيرُ القُلُوْبِ: مِمَّا تَلَطَّخَ بِهَا مِنَ الشُّبْهَةِ والشَّهْوَةِ والغَفْلَةِ!

قال تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ التَّمْحِيصِ: تَطْهِيرُ الصُّفُوْفِ مِنْ خَبَثِ الْمُنَافِقِيْنَ!

قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى**

---

(١) رواه الترمذي وحسّنه (٩٨٢).

(٢) مرقاة المفاتيح، القاري (٣/ ١١٦٢).

يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. قال ابْنُ القَيِّم: (اقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْعَزِيزِ: أَنْ قَيَّضَ مِنَ المِحَنِ وَالْبَلَايَا، مَا يَكُونُ كَالدَّوَاءِ الْكَرِيهِ لِمَنْ عَرَضَ لَهُ دَاءٌ، إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ طَبِيبُهُ بِإِزَالَتِهِ مِنْ جَسَدِهِ؛ وَإِلَّا خِيفَ عَلَيْهِ الهَلَاكُ!)[1].

وَالتَّمْحِيصُ والبَلاءُ: مَحَكُّ الأَحْوَالِ: وَبِهِ تَظْهَرُ مَعَادِنُ الرِّجَالِ! قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. قال الحَسَنُ البَصْرِي: (اسْتَوَى النَّاسُ فِي العَافِيَةِ؛ فَإِذَا نَزَلَ البَلَاءُ تَبَايَنُوا!)[2].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ٢١٣). مختصرًا، وانظر: المصدر السابق (٣/ ١٨٩).

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٢٨٤).

وَاخْتِبَارُ التَّمْحِيصِ: لا يَجْتَازُهُ إِلَّا **الصَّابِرُون**! قال ﷻ: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ**﴾.

وَعِنْدَمَا يَتَمَحَّصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ **ذُنُوبِهِمْ**، يَنْصُرُهُمُ اللهُ على عَدُوِّهِمْ![1] قال ﷻ: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾[2].

وَمِنْ أَشْكَالِ التَّمْحِيصِ: سُهُولَةُ الْمَعْصِيَةِ؛ فَاللهُ يَبْتَلِي الْمَرْءَ بِتَيْسِيرِ أَسْبَابِ الْمَعْصِيَةِ؛ ﴿**لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**﴾[3].

---

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ١٩٩).

(٢) قَابَلَ اللهُ تَمْحِيصَ الْمُؤْمِنِ بِمَحْقِ الْكَافِرِ؛ لِأَنَّ **التَّمْحِيصَ**: إِهْلَاكُ الذُّنُوبِ، **وَالْمَحْقُ**: إِهْلَاكُ النُّفُوسِ، وَهِيَ مُقَابَلَةٌ لَطِيفَةٌ فِي الْمَعْنَى. انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣/ ٣٥٦).

(٣) انظر: فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٩/ ١٩١).

وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّمْحِيصِ: اِنْتِفَاشُ البَاطِلِ، حَتَّى يَبْدُوَ كَالْمُنْتَصِرِ!

وَهَذَا اسْتِدْرَاجٌ لِلْظَّالِمِيْن، وإِعْدَادٌ لِلْمُؤْمِنِيْن، لِلْنَّصْرِ الْمُبِيْن؛

لِيَنَالُوْهُ عَنْ تَمْحِيْصٍ وَجَدَارَةٍ! ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾.

وَمِنْ سُنَّةِ اللهِ الكَوْنِيَّةِ: أَنَّ التَّمْكِيْنَ لا يَأْتِي إِلَّا بَعْدَ التَّمْحِيْصِ! سُئِلَ الشَّافِعِيُّ: (أَيُّمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ: أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلَى؟)، فقال: (لَا يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى!)[1].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ١٣). قال ابنُ القَيِّم: (فَلَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ الأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ، سَوَاء آمَنَتْ أَمْ كَفَرَتْ، لَكِن الْمُؤمنَ يَحْصُلُ لَهُ الْأَلَمَ ابْتِدَاء؛ ثُمَّ تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَة وَالآخِرَة. وَالكَافِرُ تَحْصُلُ لَهُ النِّعْمَة ابْتِدَاءً، ثُمَّ يَصِيرُ فِي الأَلَمِ!). الفوائد (٢٠٨).

وَمِنْ صُوَرِ التَّمْحِيصِ: غُرْبَةُ الدِّيْن: وَقِلَّةُ المُعِيْن، وَكَثْرَةُ المُتَسَاقِطِيْن! قال بَعضُ السَّلَفِ: (**عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ البَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ!**)[1]، ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ٤٦).

(٢) قال ابنُ القَيِّم: (وَلْيَعْلَم أَنَّ رَفِيقَهُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ: هُمُ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾، فَلَا يَكْتَرِثْ بِمُخَالَفَةِ النَّاكِبِينَ عَنْهُ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الأَقَلُّونَ قَدْرًا، وَإِنْ كَانُوا الْأَكْثَرِينَ عَدَدًا! وَكُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ، فَانْظُرْ إِلَى الرَّفِيقِ السَّابِقِ، وَاحْرِصْ عَلَى اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَغُضَّ الطَّرْفَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا! وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ؛ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ! فَإِنَّكَ مَتَى الْتَفَتَّ؛ أَخَذُوكَ وَعَاقُوكَ!). المصدر السابق (١/ ٤٥-٤٦). مختصرًا.

وَلا يُمْكِنُ دُخُولُ الجَنَّةِ: إلا بَعْدَ التَّمْحِيصِ والتَّطْهِيرِ؛ فَإِنَّهَا طَيِّبَةٌ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا طَيِّبٌ، فَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ ذَرَّةُ خُبْثٍ! وَلِهَذَا تَقُولُ المَلَائِكَةُ -لِأَهْلِ الجَنَّةِ-: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1].

فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الإِنْسَانِ خَبَثُهُ، وَصُفِّيَ ذَهَبُهُ، وَصَارَ خَالِصًا طَيِّبًا؛ كانَ أَهْلًا لِدُخُوْلِ الجِنَانِ، وَمُجَاوَرَةِ الرَّحْمَنِ![2] وكَانَ مِنَ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]. وَكَمَا قال ﷺ: (حَتَّى إِذَا

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: شفاء العليل، ابن القيم (٢٥٤)، مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢٧٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم (١/ ١٦٢).

هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ)[1].

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْـــدُ للهِ عَـلَى إِحْسَـــانِه، والشُّـكْرُ لَـهُ عَـلَى تَوْفِيْقِـهِ وَامْتِنَانِــه، وَأَشْـــهَدُ أَلَّا إِلَــهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُوْلُه.

عِبَادَ اللهِ: التَّمْحِيْصُ وَالبَـــلَاءُ الَّـذِي يَقَـــعُ بِـالْمُؤْمِنِينَ؛ سَـبَبٌ لِجَمْعِ الكَلِمَـةِ، وتَوْحِيـــدِ الصَّـفِّ، تَحْـتَ رَايَـةِ الدِّيْنِ!

قال ﷺ: (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَـوَادِّهِمْ وَتَـرَاحُمِهِمْ وَتَعَـاطُفِهِمْ: مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَـائِرُ الجَسَـدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)[1].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٦٥)، ومسلم (٢٥٨٦).

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَاز: (وَفِي تَشْبِيهِهِمْ بِالجَسَدِ الوَاحِدِ؛ مَا يَدُلُّ على أَنَّهُم بِتَعَاوُنِهِمْ؛ يَسْلَمُونَ مِنْ شَرِّ عَدُوِّهِمْ! وَقُدْوَتُهُمْ فِي هَذَا: نَبِيُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَعَا الأُمَّةَ إِلى تَوْحِيدِ رَبِّهَا، وَجَمْعِ كَلِمَتِهَا على الحَقِّ، والوُقُوفِ صَفًّا وَاحِدًا فِي وَجْهِ عَدُوِّهَا المُشْتَرَك؛ وَقَدْ سَارَ عَلى نَهْجِهِ: صَحَابَتُهُ الكِرَام، وَأَتْبَاعُهُمْ بِإِحْسَان؛ فَحَقَّقَ اللهُ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ عِزَّةٍ وَنَصْرٍ!)[1]. ﴿وَعْدَ اللهِ لَا

---

(١) فتاوى الشيخ ابن باز (٢/ ٢٠٠، ٢٠١). باختصار.

فائدة: قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: (المُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، قُلُوبُهُمْ وَاحِدَةٌ، مُوَالِيَةٌ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، مُعَادِيَةٌ لِأَعْدَاءِ الله وَرَسُولِهِ، وَأَعْدَاءِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَقُلُوبُهُمْ الصَّادِقَةُ، وَأَدْعِيَتُهُمْ الصَّالِحَةُ: هِيَ الْعَسْكَرُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ! وَالْجُنْدُ الَّذِي لَا يُخْذَلُ!). مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٤٤).

﴿يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

❊ ❊ ❊ ❊

❊ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمُشْرِكِيْن.

❊ اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

❊ اللَّهُمَّ آمِنَّا في أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

❊ عِبَادَ الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

❊ فَـاذْكُرُوا اللهَ يَـذْكُرْكُمْ، وَاشْـكُرُوْهُ عـلى نِعَمِـهِ يَـزِدْكُمْ

﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

❊ ❊ ❊ ❊

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab